تعريف المخبر :

شكّل التراث الثقافي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري (في ولايتي النعامة والبيّض) ولا يزال، عنصرًا رئيسًا من مكوّنات الهويّة الحضارية العربية الأمازيغية لسكان هاتين الولايتين، لذا من الطبيعيّ أن يتنزّل ضمن اهتمامات مؤسّسات التعليم العالي والبحث العلمي، ممثّلة هنا في المركز الجامعي صالحي أحمد بالنعامة ومعهده للآداب واللغات، وذلك بشكل علميّ أكاديمي وفق تخصّصات محدّدة الأهداف، من بينها النقد الأدبي المعاصر وبخاصّة ما اتّسم منه بالتوجّه الثقافي في الدّرس والتحليل والقراءة، مثل المناهج التي يطلق عليها الدراسات الثقافية Cultural Studies، في محاولةٍ ممنهجة لعقد روابط وثيقة بين (النقد - الثقافة - الأدب)، وهي المحاور الكبرى التي سوف تؤطّر - في نقاط تقاطعاتها المتعدّدة - الأنشطةَ العلمية لمخبر التراث الثقافي في ج غ ج في ضوء النقد المعاصر.

وواضح من خلال هذه العتبة أنّ من أهدافنا جمع واستقراء ومدارسة ما هو تراث ثقافي (لغوي وأدبي وفكري) في الجنوب الغربي الجزائري، دون إغفال امتداده الطبيعي من حيث الزمان والجغرافيا، عبر مسارات التراث المغاربي والعربي في عمقهما الحضاري. وقد عمدنا للإحاطة بمختلف جوانب مواضيع هذه التيمة المنداحة أن نقسّم العمل بين فرق أربع (سوف نسعى إلى إثرائها بفرق أخرى مستقبلا) هي: معجم الأعلام والعمران، الأدب الشعبي (جمع ودراسة)، المخطوطات (ببليوغرافيا وتحقيق)، التراث الثقافي والنقد المعاصر.

ولمّا كان لهذا التراث الثقافي بولايتَي النعامة والبيّض أشكالٌ تعبيرية كثيرة مثل: المخطوطات الدينية والصوفيّة، والأدبية وغيرها، أو المهارات وأساليب التواصل الاجتماعي والتعليم التقليدية من كتاتيب وحلقات ذكرٍ وزوايا الطرق الصوفية المعروفة بالمنطقة. وكذا خصائص اللغات المحلية واللهجات الأمازيغية والعربية العاميّة على السواء. وكذا القصص والحكايات الشعبية التاريخية كسِيَر أبطال بني هلال "الشيخ ذياب" و"فاطنة بنت الخصّ" وسواهما، أو الخرافية والأسطورية التي تتقاطع مع غيرها من الآداب الشعبية العالمية، أو تلك المتعلّقة بأولياء الله الصالحين مثل: سيدي أحمد المجذوب وسيد الشيخ وغيرهما. وقصائد الشعر الشعبي الملحون بأوزانه وأغراضه المتنوّعة، خاصّة لشعراء مغمورين أغفلتهم الدراسات وطواهم النسيان مثل: الشاعر الأمازيغي محمد قازوز وغيره كثير. دون أن ننسى الألغاز والأحاجي التي كانت توظَّف للتسلية والترفيه من جهة وللتعليم وأخذ العبر من جهة أخرى. والأغنيات وفنون "القول" المرتبطة بالطبيعة وبالمواسم الفلاحية والأعراس ومختلف المناسبات.الدينية والشعبية.

هذا، بالإضافة إلى مجالات الإعمار والمناظر الهندسية والعمرانية والزراعية الحاضرة في صور القصور (كقلعة الشيخ بوعمامة بين مدينتَي عين الصفراء وبشار، وقصرَي عسلة وبوسمغون العتيقَين)، أو الحرف والصناعات التقليدية التي شكّلت جزءًا من القاعدة الاقتصادية والمعيشية لسكان منطقة النعامة والبيّض، لعقود طويلة قبل الاستعمار الغاشم وأثناءه وحتى بعده، وهنا نذكر كأمثلة الصناعات النسيجية وأواني الفخار والحلفاء. والتي تصلح هي الأخرى لأن تكون مادّةً للاشتغال النقدي من منظور الدراسات الثقافية ومقارباتها التي وسّعت من مفهوم النصّ وحدوده.

وقصد نشر مفهوم التراث الثقافي بكلّ أبعاده وأشكاله، من منظور أدبيٍّ نقديّ ثقافي معاصر، عند الطلبة الجامعيين بالمركز الجامعي صالحي أحمد بالنعامة، وغيرهم من الطلبة في مؤسسات أخرى. والعمل على تعريفه بالشكل الذي يليق به لديهم جميعًا، وذلك في أفضل الصور والأشكال، قصد عقدِ عرى التواصل الحضاري بين السلف والخلف، مما يؤكّد الروح الوطنية ومشاعر الانتماء إلى وطن واحد موحّد، انبثقت فكرة إنشاء مخبر البحث هذا الموسوم بـ "التراث الثقافي بالجنوب الغربي الجزائري في ضوء النقد المعاصر. (ولايتَا النعامة والبيّض)". وحتى يتسنّى في المقام الأول نفضُ الغبار عن تلك الموروثات الشعبية والثقافية، ومن ثمّ دراستها وفق آليات النقد المعاصر والدراسات الثقافية، مع تركيز البحوث والدراسات ومختلف الفعاليات والنشاطات العلمية في هذه المنطقة الشاسعة من الوطن على ولايتَي النعامة والبيّض. وعلى أساس ذلك كلّه يمكن القيام بنشرها وزرع قيَمها السامية بين أفراد المجتمع وبشكل خاصّ الطلبة الجامعيّين باعتبارهم رجال الغد وجنود الجدّ.

ومن الضروري التنويه هنا إلى واجب الاستعانة في هذا المشروع الأكاديمي الثقافي بالرؤية التشاركية البنّاءة، قصد التأسيس لانفتاح مخبر البحث المقترَح على المحيط الخارجي للمركز الجامعي من مؤسساتٍ ثقافية (دار الثقافة بالنعامة والبيض، والمكتبات الحضرية والنصف حضريّة بمقرّ الولايتين أو بلدياتهما المترامية)، ومديريات: السياحة، والثقافة، والتربية والتعليم..، وكذا مراكز الإشعاع الديني والصوفي (مديرية الشؤون الدينية وزوايا الذكر وحفظ القرآن الكريم..). لأنّنا نرى من خلال هذه الرؤية، - التي ما فتئت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي تؤكّد على ضرورة تبنّيها كمقاربة إستراتيجية لمؤسسات التعليم العالي -، يُمكن أن يؤدّي المركز الجامعي صالحي أحمد دوره في المجتمع الذي يحيط به سواء كان أفرادًا أو هيئات شعبية أو مؤسّساتية.

أما الإجراءات البحثيّة التي سوف نتوسّل بها لتحقيق تلك الغايات، والتي نظنّها تشكّل جديدًا في مقاربات مخابر البحث التي تشتغل هي الأخرى على الموروثات الثقافية، فتقوم في الأساس على توظيف ما حقّقته المذاهب النقدية المعاصرة، سواء المنتمية منها للتيار النسقي النصّاني، أو التي قامت بتبئير رؤيتها النقدية على الذات المتلقّية للمنجَز الأدبي مثل جمالية التلقّي. مع التركيز على الاتّجاهات التي تندرج تحت ما يعرف بـ "الدراسات الثقافية" (التاريخانية الجديدة، النقد المؤسّساتي، والنقد الثقافي)، بوساطة الاستعانة بمكوّنات أجهزتها المفهومية وإجراءاتها النقديّة. وفي هذا الإطار العام سوف يتنوّع العمل بين جمع المادة العلمية من نصوص ومخطوطات وأشكال تعبير أخرى، ثم القيام بتحقيقها وتصنيفها لتتمّ دراستها بعد ذلك في مرحلة أخيرة.

وقصد استثمار المرحلة الأولى (الجمع والتدوين والتصنيف) سوف تُلقَى خلال المراحل التالية من عمل فرق المخبر، محاضراتٌ وتُعقد أيامٌ دراسية وملتقيات وطنية ودوليّة، وتقام معارض لإبراز التراث الثقافي بالجنوب الغربي الجزائري. كما ستُقترح مواضيع بحوث أكاديمية على طلبة الماستر والدكتوراه، ممّا يندرج ضمن مهمّة التكوين والتأطير المتعلقة بتخصصات الماستر المفتوحة على مستوى معهد الآداب واللغات (تخصّص نقد حديث ومعاصر، ونخصّص أدب عربي حديث ومعاصر، وحتى تخصّص اللسانيات)، أو تخصصات الدكتوراه.

ومن خلال الربط بين البحث العلمي ومسارات التكوين على مستوى قسم اللغة والأدب العربي، سوف يتسنّى للأساتذة أعضاء فرق البحث الإشراف على أعمال الطلبة في طورَي التدرّج وما بعد التدرّج، من خلال توفير الظروف المناسبة لهم، سواء الماديّة من قاعات مدارسةٍ وبحث، وأجهزة الإعلام الآلي والطابعات وغيرها. أو المعنويّة العلميّة متمثّلة في المرافقة البيداغوجية. والحرص في ذلك كلّه على أن يكون إنجاز البحوث الجامعية للطلبة المعنيّين من رسائل ليسانس ومذكرات ماستر وأطروحات دكتوراه، بالشكل العلمي الأكاديمي المناسب الذي من شأنه أن يعطي صورة مشرّفةً للجامعة الجزائريّة.

هذا، ومما يندرج ضمن أعمال مخبر البحث المقترح كذلك العمل على إنجاز معاجم متخصّصة قد تسدّ النقص الحاصل والملاحَظ في مضمون مشروع المخبر المقترح، من حيث الموضوع (التراث الثقافي) وحيّز البحث (ولايتَي النعامة والبيّض) وأخيرًا المنهجية وأسس الدراسة (النقد المعاصر)، مما يتساوق ومقاربة الإجابات عن الأسئلة الجوهرية المؤسّسة لكلّ بحث علميّ وهي: عن ماذا نبحث الموضوع أو التّيمة le thème؟.. وأين نبحث الحيّز أو المدوّنة le corpus؟.. وكيف نبحث المنهجية la méthodologie؟

وختاما، حيث أنّ العلم صيدٌ والكتابةَ قيد، سوف نحرص على تدوين مختلف النشاطات والفعاليات في كتيّبات تشكّل دفاتر المخبر، لتكون في مستقبلٍ قريب لبنةً لمشروع مجلّة علميّة محكّمة، تفتح صفحاتها لأعضاء فرق المخبر وللأساتذة وطلبة الدكتوراه في المركز الجامعي بالنعامة، وكذا للباحثين داخل الوطن وخارجه من أجل الإثراء وتبادل الخبرات والآراء.